الفصل الثالث

الحركة الرأسية

لقد تبيَّن لنا أن الرَّصد الشكليَّ لحركة الصياغة أفقيا قد ساعد على خلق اللغة الأدبية من خلال الانتهاك ، أو الخروج على المألوف ، ولكن ليست الحركة الأفقية وَحْدَها هي سبيل المبدع إلى هذا الخَلْق اللُّغوي ، بل إن طبيعة الحركة اللُّغوية قد تتعرض لما يوقفها بشكل مؤقَّت ؛ لكي تعدِّل مسارها إلى شكل رأسي ، يتمثل في عملية جذب لمفردات التركيب لتتمَحْور في عمق رأسي ، يساعد بدوره على إفراز دلالة فريدة لا تقل في أهميتها عن الدلالة الناتجة من الحركة الأفقية .

والمتأمل في طبيعة التركيب النَّحْوي يلحظ أن المحاولة المتميِّزة للنحاة في تجاوز حدود الجملة الواحدة إنما تتمثل في مبحث (العطف) الذي ترتبط فيه جملتان أو أكثر بوسيلة لُغوية هي أداة العطف ، كما يلحظ أن البلاغيين والنقاد – في محاولة الإفادة من هذا المبحث النَّحْوي – وجَّهوا اهتمامهم إلى أداة محدَّدة هي (الواو) باعتبار قدرتها على شد طرفين لُغويين وربطهما، كما إذا ثني أحد طرفي رداء إلى الآخر . فالملاحظ أن النحاة قد وقع اختيارهم على كلمة (العطف) للدلالة على خاصية تعبيرية معيَّنة ترتبط فيها الكلمة ، أو الجملة التالية بما قبلها عن طريق أداة محدَّدة « وهكذا يبدو أن فكرة العطف تتصل برجعة الاسم التابع على المتبوع (أي المعطوف عليه) بدلا من تقدُّمه إلى الأمام وتعلُّقه بمتعلقات أخرى ، كما في قولنا : خرج